

من قضايا أهل الذمة في النوازل المالكية المغربية خلال العصر الوسيط

The issues concerning dhimmis in the Maliki jurisprudence
books in the Maghreb during the Middle Ages

حاج عيسى إلياس¹ المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمن الاغواط

Ilyes.hadjaissa@univ-tiaret.dz

شرف عبد الحق ، جامعة ابن خلدون تيارت²

abdelhak.cheref@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2024/11/29 تاريخ القبول: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

تكشف لنا المصادر النوازلية المالكية المغربية عن حضور لافت لفئة أهل الذمة في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط ، وهي ظاهرة تعكس في إحدى أبعادها انفتاح دول تلك المرحلة على كل مكونات المجتمع ، الحيوية والمؤثرة مهما انحصرت انتشارها وقل عددها. وقد سبق لبعض الباحثين أن درسوا موضوع أهل الذمة في كتب النوازل من زوايا معينة ، مركّزين على نوازل الونشريسي ربما لأن كتابه "المعيار" هو الكتاب الأكثر جمعاً لما سبقه من نوازل فقهاء المالكية ، منها دراسة "بوحلوفة محمد أمين" حول "أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي" (2013) ، ودراسة سعيداني لخضر ولبشير عمر حول "واقع الأقليات ببلاد المغرب. قراءة في نوازل المعيار للونشريسي" (2018). كما تبرز دراسة محمد المسكيني "نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي" الصادرة سنة 2023 من الدراسات الجديدة والأكثر شمولية من حيث المسح الموضوعاتي. وتبدو لنا هذه الدراسات وفق هذا المنحى على الرغم من أهميتها ؛ أنها لم تصل إلى القدر الكافي من التراكمية المعرفية ، خاصة مع الوفرة النسبية للمعلومات التاريخية. من هذا المنطلق جاء بحثنا في هذه الورقة لي طرح بعض الإشكاليات المتعلقة بالحضور الذمي في المجتمع المسلم ، حيث نسعى من خلاله إلى البحث عن دلالات الحرية والأمان ، وانعكاس ذلك على عطائهم وتأثيرهم وتأثيرهم ، وطرح الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال استعراض نماذج من قضايا أهل الذمة في مصادر النوازل المغربية.

الكلمات المفتاحية: أهل الذمة ؛ النوازل المالكية ؛ العصر الوسيط ؛ نوازل الونشريسي

ABSTRACT : Non-Muslims (dhimmis) had a significant presence in Maghrebi society during the Middle Ages through

◆ المؤلف المرسل

jurisprudence books, reflecting the openness of the countries of that time to all components of Maghrebi society, whether vital and influential despite their limited dissemination and small number. Some researchers have already studied the issue of non-Muslims in jurisprudence books from a specific perspective, focusing on the Nawazul of Al-Wansharisi, including Bouhaloufa Mohamed Amine's study on "Non-Muslims in Central Maghreb through the Nawazul of Al-Wansharisi" (2013), and Saïdani Khedr and Belbachir Omar's study on "The reality of minorities in Maghreb countries. A reading of El-méyar (المعيار) of Al-Wansharisi" (2018). These studies seem not to have reached a sufficient level of scientific accumulation, especially with the relatively limited availability of historical information. Therefore, our research in this document addresses certain issues, such as the sense of security and the spaces of freedom enjoyed by non-Muslims and their impact within Maghrebi Muslim society. We aim to explore the social, economic, and cultural aspects by examining examples of dhimmis' activities in Maliki jurisprudence books.

Keywords: non-Muslims (dhimmis); Maliki jurisprudence; Middle Ages; Nawazil of Al-Wansharisi.

طبيعة الذمي في الفضاء المغربي:

الذمة: المراد بها الذات والنفس، والذمة في اللغة بمعنى العهد ومعنى الأمان والكفالة¹، كقوله صلى الله عليه وسلم: "يسعى بذمتهم أدناهم"²؛ و "من صلى الصبح فهو في ذمة الله"³؛ "ولهم ذمة الله ورسوله"⁴. وبه سمي أهل الذمة، واصطلح الفقهاء على استعمال الذمة بمعنى الذات والنفس، لأنها تطلق على العهد والأمان، ومحلها الذات والنفس، فسمي محلها باسميهما⁵.

1- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص315.

2- صحيح؛ رواه أحمد في مسنده. ينظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1995، ج2، ص285، رقم: 991 وج11، ص555، رقم: 6970.

3- صحيح. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مج1، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص270، رقم: 367.

4- الشيخ سليمان، حاشية الجمل على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، مج5، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2006، ص205.

5- المصدر نفسه، مج5، ص205.

الدراسات السابقة:

استفاد الوجود الذمي في بلاد المغرب من أقدمية زمنية تمتد إلى قرون عديدة قبل مجيء الإسلام ، ورغم الامتداد الزمني ؛ لم يبلغ ذلك الوجود الفعالية والتأثير الذي جاء بهما الإسلام.

وقد سبق لبعض الباحثين أن درسوا موضوع أهل الذمة في كتب النوازل من زوايا معينة ، مركّزين على نوازل الونشريسي ، ربما لأن كتابه "المعيار" هو الكتاب الأكثر جمعاً لها سبقه من نوازل فقهاء المالكية.

ومن هاته الدراسات ؛ دراسة "بوحلوفة محمد أمين" سنة 2013 حول "أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي". ويقرّ الباحث أنّ جلّ نوازل أهل الذمة ليست محدّدة في المجال والزمان⁶؛ إذ هي جمعٌ من الونشريسي لفتاوى سابقيه من فقهاء المالكية في حيز المغرب الكبير. ومنها كذلك ؛ الدراسة سعيداني لخضر وبلبشير عمر المنشورة عام 2018 ؛ حول "واقع الأقليات ببلاد المغارب: قراءة في نوازل المعيار للونشريسي".

وفي هذا السياق ، تبرز دراسة محمد المسكني الموسومة بـ "نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي" التي صدرت سنة 2023 كأحد الدراسات الجديدة والوافدة والأكثر شمولية من حيث المسح الموضوعاتي.

ومن آخر الإصدارات التي تعدّر علينا الوصول إليها دراسة الباحث عبد الرزاق أعويس تحت عنوان: "قضايا أهل الذمة في النوازل السوسية من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ: دراسة وتحليل". وقد صدرت عن مركز جزولة للدراسات التراثية بأكادير-المملكة المغربية سنة 1445هـ/2024م. وإن كانت هاته الدراسة تهتم بمجال جغرافي محدود -سوس بالمغرب الأقصى- إلا أنّ فائدتها تتجلى في كونها تقوم على وثائق محلية ، وذات صبغة مذهبية مالكية متأصلة.

وعلى العموم ، تبدو لنا هذه الدراسات وفق هذا المنحى ، أنها تسير إلى بناء تراكمية تاريخية جادة في رسم علاقة المسلم بالآخر الذمي على ضوء منظومة فقهية نوازلية صارمة ، تأخذ في الاعتبار المرجعيات الدينية والعرفية.

ولا يزال مجال دراسة الذمي في الفضاء المغربي الوسيط ، في حاجة إلى تنقيب ليس فقط لإبراز قيم التسامح التي أضحت "مركب نقص" لبعض الدراسات والجهات في عالمنا

6- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914هـ/1508م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2015م ، ص:86.

العربي الإسلامي ، وإنّما كذلك لإظهار قيمة المؤثّر المسلم الذي كان يضع ويقرّر حدود التواصل مع الذمي بما تمليه مصلحة المسلم أولاً. وعليه ؛ ومن هذا المنطلق جاء بحثنا في هذه الورقة العلمية لي طرح بعض الإشكاليات المتعلقة بالحضور الذمي في المغرب الإسلامي.

التّصاري:

يبدو أن الوجود النصراني في بلاد المغرب عامة ، قديم قدم الدول التي عرفتها المنطقة. فقد أشارت بعض المصادر الوسيطة إلى بعض المناطق البربرية التي كان أهلها يدينون بالنصرانية كجبل نفوسة⁷.

وقد ادّعى صاحب الاستبصار أنّ أصل سكان قسطنطينية⁸ من بلاد الجريد⁹ "من بقايا الروم الذين كانوا قبل استفتاح المسلمين لها... لأنهم في حين دخول المسلمين إفريقية أسلموا على أموالهم"¹⁰.

7- يصعب تأكيد هذه المعلومات ، وربما كانت من قبيل التهم التي تكال للفرق المذهبية المخالفة. مجهول مراكشي من كتاب ق 6/12م ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء-المملكة المغربية ، 1985م ، ص 144 ؛ التيجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، (ت. 717هـ/1317م) ، رحلة التيجاني ، تق: حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا-تونس ، 1981م ، ص 239 ؛ بالإضافة إلى مقاربات متعلقة بمنطقة الجريد وأريغ تحتل الربط بين نظام الحلقة عند الإباضية وتنظيمات قديمة قبل الإسلام. ينظر:

Allaoua Amara, La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (11e-15e siècle), Annales islamologiques, N°42, 2008, pp. 270-271.

8- قسطنطينية: بالفتح ثم السكون ، وكسر الطاء ، وياء ساكنة ، ولام مكسورة ، وياء خفيفة ، وهاء ؛ مدينة بالأندلس وهي حاضرة نحو كورة البيرة. قال ابن حوقل: في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة قسطنطينية ، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين ، وأهلها شراة وهبيّة وإباضية. وقال البكري ما يدلّ على أن قسطنطينية التي بإفريقية كورة فقال: فأما بلاد قسطنطينية فإن من مدنها توزر والحمة ونقطة ، وتوزر هي أمها ، وهي مدينة كبيرة. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت: دار صادر ، 1977 ، ج 4 ، ص 348.

9- بلاد الجريد: من إفريقية ؛ سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها. ينظر: مجهول ، الاستبصار ، ص 150.

10- مجهول ، الاستبصار ، ص 155. لا نستطيع أن نتأكد من مدى مصداقية هذه الروايات ، وربما كانت من باب الأوصاف التي يطلقها بعض المؤرخين للجماعات المخالفة في المذهب. في حين تذهب بعض الدراسات الإستشراقية أن الوجود النصراني في بلاد المغرب كان أكبر ممّا كانت تصوره المصادر الإسلامية ، وأن هذه الأخيرة تسترت على واقع الكنائس والديانة النصرانية في بلاد المغرب حتى بعد قرون من الفتح الإسلامي. ينظر:

وفي هذا السياق؛ ننقل بحذر ما ذهب إليه بعض الباحثين، من أمثال "فيرود FERAUD" الذي ادّعى أن بجاية¹¹ والجبال المحيطة بها (زواوة) قبل الحمّادين (408-547هـ)¹² كانت على النصرانية¹³.

كما تذهب مثل هذه الدراسات، إلى تأويل اسم المدينة، كونه حُرّف من اسم "بَقَايَا" للدلالة على بقايا بربر مُتْرُومِنُونَ، ونصارى كانوا يشكلون سكان المدينة¹⁴.

وبالحديث دائماً عن الفترة التي سبقت الحمّادين، نجد بعض المصادر تحدثت عن وجود أقلية نصرانية في مدينة تاهرت، وأشارت إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة¹⁵، وكانت الجالية النصرانية تشكّل جزءاً من الصورة السياسية والاجتماعية الفوضوية التي شهدتها المدينة في نهاية القرن الثالث هجري/التاسع الميلادي، ومن النصارى من تولى مناصب عُليا في هذه المدينة وكانوا من خاصّة أئمتها في نهاية عهدهم، بل إنهم شكّلوا جزءاً مؤثراً من وجوه البلد¹⁶.

وتبقى ظاهرة الوجود النصراني في بلاد المغرب وتأثيرها قبل الفتح تحمل إشكاليات وتجاذبات بين رؤية غربية استشراقية تسعى للتأكيد على عمق الحضور النصراني، وبين رؤية عربية وردّ فعل يرى في الطرح الغربي مبالغة. وكانت مساحة التوافق بينهما في القول

Gabriel CAMPS, COMMENT LA BERBERIE EST DEVENUE LE MAGHREB ARABE, p.17.

11- بِجَايَة: بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف، وياء، وهاء؛ مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطّها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلّكين، في حدود سنة 457هـ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص339.

12- لتفاصيل وافية عن الدولة الحمّادية؛ ينظر: رشيد بورويبة، الدولة الحمّادية تاريخها وحضارتها، الجزائر: دويان المطبوعات الجامعية، 1977.

13- يضيف فيرود أن من الدلالات التي تؤكد على انتشار النصرانية بين البربر هو استمرارهم في تطبيق بعض التقاليد التي تبدو من صميم النصرانية، منها مثلاً رسم شكل الصليب على الجبهة واليدين تعبيرا منهم لاشعوريا على أصلهم الديني.

FERAUD (Laurent-Charles), «Histoire de Bougie», Editions TALANTIKIT-Bejaia-2014. p. 68, 89.

14 - CAMBUZAT, Paul Louis, «L'évolution des cités du Tell en Ifrikyia du 7e au 11e siècle», Tome2, office des publications universitaires, Alger, 1986, p. 33.

15- ابن الصغير (ت.295هـ/907م)، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتبع: ناصر محمد وبجاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، ص.69.

16- هوبكنز (ج.ف.ب)، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء-المملكة المغربية، ط02، 1420هـ/1999م، ص.103.

بأن الساحل المغربي قد جمع بين وجود نصراني أوروبي ، وتنصير بربري محلي¹⁷ ، وبقي الغريب في ذلك هو غياب رؤية محلية حول هذه المسألة.

هذا ؛ ويسود الاعتقاد لدى بعض الباحثين أن النصف الثاني من القرن 6هـ/12م قد شهد انسحاب آخر الجماعات النصرانية المغربية¹⁸. واختلف الباحثون في تقييم هذه النهاية وتفسير دوافعها.

وفي سياق ذي صلة بذلك ، نسوق هاهنا تساؤلاً استشرافياً يطرح ويتساءل -بأسف- عن الأسباب التي قضت على الديانة النصرانية في بلاد المغرب بعد فترة قصيرة من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، حيث قارن هؤلاء بين المشرق القريب من منبع الإسلام ، الذي حافظ على جماعات نصرانية كالأقباط في مصر ، والمارونيين في سواحل الشام ، والنسطوريين واليعقوبيين في الشام والعراق ، وبين المغرب الذي تخلّى عن الديانة النصرانية وهو البعيد عن مركز انطلاق الإسلام¹⁹.

وقد تعددت الآراء حول تناقص أهل الذمة من النصارى في المغرب الأوسط ، بين من يرجعه إلى انعدام الأمن الذي ازداد بوصول الهلاليين ، أو القهر الذي سلّطه الموحدون على أهل الذمة. إلا أن المرجح أن النصارى أنفسهم -وعلى عكس اليهود- قد عجزوا عن التأقلم مع الوضع المغربي الذي أفرزه الفتح الإسلامي²⁰ ، ولم يتقبلوه.

وبالإضافة لذلك ، هناك عامل آخر ألا وهو احتمال تغيير الديانة والدخول في الإسلام بالنسبة لفئة منهم ، ولو أن المصادر في هذا المجال لا تسعفنا في توثيق أمثلة عن هذا الجانب ، إلا ما نُسب لبعض فقهاء ومتصوفة بجاية ، وعلى رأسهم أبي مدين شعيب²¹ ، من

17- محمد المسكيني ، نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي ، ص:14

18- في هذا الإطار تصرّ بعض الدراسات الغربية أن نهايتهم لم تكن طبيعية ، بل هي نتيجة سياسة الشدة التي مارسها الموحدون اتجاه أهل الذمة ، ومنهم النصارى. ينظر:

Gabriel CAMPS, op ;cit, p.18.

19- Gabriel CAMPS, op ;cit, p.08.

20- علاوة عمارة ، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب (ق2-8هـ/12-8م) ، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط ، مؤسسة حسين رأس الجبل ، قسنطينة-الجزائر ، ص.28-29.

21- أبو مدين شعيب التلمساني (ت594هـ/1198م): شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ، أبو مدين. صوفي أصله من الأندلس. أقام بفاس وسكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. توفي بتلمسان وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له: مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب. ينظر: الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه: عادل نويهض ، بيوت: دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، 1979 ، ص22 ، رقم: 01. الزركلي خير الدين ، الأعلام ، ج3 ، بيروت: دار العلم للملايين ، ط15 ، 2002 ، ص166.

أنَّ رهباناً إيطاليين أرادوا التعرف على علمه ومكانته ، فلمَّا رأوا كراماته دخلوا الاسلام²². وللدول المغربية التي أعقبت مرحلة الفتح ، نصيب من تشديد الخناق على المجموعات النصرانية ، كما نُسب لمؤسس دولة الأدارسة²³. وكذلك ما أفرزته الصراعات العسكرية ، مثل انتقال النصارى من المهدية الى صقلية حين فتح عبد المؤمن بن علي مدينة المهدية²⁴.

ثمَّ عادت المجموعات النصرانية الى الاستقرار في بعض المدن المغربية بدوافع اقتصادية وسياسية ، بصفتهم تجاراً وممثلي لمؤسسات تجارية في المدن التجارية الساحلية ، أو بدوافع سياسية عندما استنجد بهم حكام المغرب في مراحل ضعفهم. والأمثلة في ذلك متوفرة ، فقد ذكر عبد الواحد المراكشي عنصر الروم ضمن جند الموحدين ، وممن خرج عليهم في الأندلس محمد بن سعد حاكم مرسية في زمن السلطان الموحدى أبي يعقوب ، حيث كان يستعين بهم في حروبه واتخذ منهم الأجناد والأنصار²⁵. وعليه ؛ نستنتج أن فئة النصارى في هذه الفترة لا تذكر إلا عرضاً وكأفراد وليس كقوة ، أي ليس كمجموعة أو جماعة على درجة كبيرة من الكثرة والتأثير ، وهي لا تلبث بعد ذلك أن تنصهر في المجتمع. ولكن هناك عدداً من النصارى في المدن الحمادية كانوا تجاراً وممثلي لمؤسسات التجارية.

اليهود:

لا جدال في أن الدين اليهودي هو أقدم الديانات السماوية دخولاً إلى بلاد المغرب ، وقد تعود إلى الفترة القرطاجية²⁶. وتذهب الدراسات إلى أن وضعيتهم قد ساءت في كلِّ

22- شعيب الحريفشي ، كتاب الروض ، مخطوط خزانة أسرة زروق ، عين تاغروت ، ولاية البرج ، ص. 118 ، 119. نقلاً عن: بوناي الطاهر ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين 12-13 الميلاديين ، أطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف: فيلاي عبد العزيز ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، السنة الجامعية 1419-1420هـ/1999-2000م ، ص. 188.

23- محمد المسكيني ، نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي ، ص: 18

24- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، دار بهاء الدين ، الجزائر ، 2012 ، ص: 299

25- المراكشي ، المعجب ، ص: 320-321 ؛ 424

26- كفايتي سعيد ، دور يهود الجزائر عموماً ويهود تاهرت وقلعة بني حماد على وجه الخصوص في إغناء الثقافة العبرية القديمة ، أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 1427-398هـ/1007-2007م ، جامعة المسيلة ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، أيام: 9-11-10 أبريل 2007م ، ص. 519 وما بعدها.

الولايات أثناء الحكم الروماني ، فقد كانوا يعزلون في أماكن لا آدمية ، ويطوّق عليهم بسور إمعاناً في الإذلال والاحتقار ، وأطلق على تلك الأماكن لفظ (القيطو Ghetto)²⁷. ومن المؤكد أن جماعات يهودية وفدت على المغرب لأهداف تجارية ، واستوطنت برقة ، وجربة ، وتلمسان ، وطنجة ، والواحات الصحراوية ، فأصبحوا جزءاً من النسيج القبلي البربري يتحدثون لسانه ، ويمارسون الكثير من عاداته الاجتماعية ، وربما كان تأثيرهم على القبيلة البربرية أقوى باعتبار أنهم أصحاب رسالة سماوية سابقة وأفكار دينية²⁸.

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة هنا ، هل وصل الأمر إلى تهويد القبائل البربرية أو بعضها بفعل تأثير هذه الجماعات اليهودية ؟ علماً أنّ الشيء المعروف عن الجماعات اليهودية أنها كانت منغلقة لا تحرص على التبشير لديانتها ، على خلاف مع ما هو شائع بالنسبة للنصرانية والإسلام. وفي هذا الصدد ، اختلف المؤرخون والباحثون بين قائل بأنّ بعض قبائل البربر قد تهوّدت ، وقائل بأنّ جلّ يهود بلاد المغرب هم بربر أصلاً تهوّدوا²⁹. وتحاول بعض الدراسات ، أن تدعم هذا الطرح بتأكيدا على أن اليهودية لم تصبح ديناً مغلقاً إلا بعد التلمود (القرن الخامس والرابع قبل الميلاد) ، وأما قبل ذلك التاريخ فقد كانت اليهودية متاحة لغير العبرانيين. إلا أنّ هذا التبرير يصطدم مرة أخرى بمبدأ تحريم زواج اليهود بالأجنبيات ، ويصطدم بمبدأ اعتقاد أحبار اليهود بحلول روح الإله في اليهودي وأنها لا تحلّ في غيره ، وهذه المعطيات قد تقوّي من مبدأ "الدين اليهودي لليهود وليس للمغاربة"³⁰.

وزيادة على ذلك ، فإن النصوص القديمة المكتوبة والمنقوشة لا تؤيد نظرية تهويد البربر³¹. ومما يلفت النظر أكثر ، هو أنّ كتب الفتوح اقتصر حديثها عن عناصر البربر

27- فيلالي عبد العزيز ، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي ، دار الهدى ، عين مليلة-الجزائر ، 2012م ، ص. 57.

28- رغم اعتناق المغاربة للدين الإسلامي ، فإنه لا يستبعد التأثير الديني البونيقي ، واليهودي ، والنصراني ، واستمرار بعض مظاهرها في المجتمع المغربي وأخذ صورة الأسلمة.

EDMOND DOUTTE, LES MARABOUTS NOTES SUR L'ISLAM MAGHRIBIN, DAR EL AMAN, Rabat, Maroc, 2014, p. 25.

29- محمد المسكيني ، نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي ، دار أجيال الرقمي ، الجزائر ، 2023م ، ص: 10؛ تشير إحدى المصادر أن مدينة جادو أكبر مدن جبل نفوسة أكثر أهلها يهود. وأن سكان نفوسة كانوا على النصرانية! مجهول ، الاستبصار ، ص. 144.

30- كفايتي سعيد ، المرجع السابق ، ص. 520-521.

31- علاوة عمارة ، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام ، ص. 29-30.

والروم والنصارى ، دون اليهود³² ، وهو ما يطرح علامة استفهام كبيرة عن حقيقة وجودهم وانتشارهم.

هذا ؛ وتوزّع النوازل الفقهية في شأن أهل الذمة على مواضيع اجتماعية سياسية فكرية واقتصادية ، وهي تحتكم بالضرورة إلى قواعد دينية بحتة.

النوازل الاجتماعية:

يمكن لكلّ النوازل أن تصنّف ضمن الحالة الاجتماعية ، إلا أنّ المقصود هنا بالنوازل الاجتماعية ، الاقتصار على نماذج ومواضيع تعكس العلاقة اليومية بين الأغلبية المسلمة والأقلية الذمّية في بلاد المغرب ، الناجمة عن تكرار الاحتكاك ؛ المأكّل والمشرّب والعلاقات الأسرية.

ويغلب الانطباع ، أنّ مؤشر العلاقة يحتكم إلى ثنائية عنوانها: التزام ديني وحذر اجتماعي ، ذلك أنّ المغربي المسلم حين يحتكم الى الفقيه في رسم العلاقة مع الذمّي يجتهد في الالتزام بفتاوى الفقهاء في التحليل والتحريم ، كتحليل طعام أهل الكتاب³³. لكنه كذلك يراقب بحذر شديد تصرفات الذمّي في تحضير الطعام لعلّها تتعارض وتتناقض مع مقتضى الدين ، بما ينقل الحلال الى شبهة ثم محرّم في أي لحظة.

وانطلاقاً من وضعية الذمّي ككائن غير مسلم يعيش مع المجتمع المسلم ، فقد أولى الفقهاء لموضوع العلاقة معه أهمية بالغة ، إما على سبيل أحداث واقعية أو على سبيل الاحتمال.

ومن نماذج الفتاوى التي طرحها فقهاء المالكية مبكراً مستندين إلى تجربة المجتمع المسلم في شبه الجزيرة العربية مع أهل الذمة "موضوع اليمين". فقد نقل لنا ابن وهب المصري القرشي من الموطأ عن رواية سحنون بن سعيد ، ما أخبر به ابن لهيعة³⁴ عن نهي

32- محمد المسكيني ، نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي ، ص:12

33- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط ، ص:88

34- عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي(174-97هـ/715-790م): يكنى أبا عبد الرحمن. ولي قضاء مصر سنة 155هـ، وكان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية ، حتى أصبح مصدراً لتاريخ مصر منذ ابن عبد الحكم وحتى جلال الدين السيوطي. ينظر: الصدي ، الكندي المصري أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت بعد 353هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2003 ، ص ص266-268 ، ترجمة: 161. البكجري الحنفي علاء الدين مُغلطاي بن قليج بن عبد الله (689-762هـ)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج8 ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم ، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط1 ، 2001 ، ص143 ، ترجمة: 3150. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج5 ، تحقيق: عادل

أن يحلف النصراني بغير الله. وقال الإمام مالك: لا بأس أن يحلف النصراني في الكنيسة ولا يحلف بغير الله. وأخبر يحيى بن أيوب بأنه لا بأس أن يستحلف اليهودي والنصراني بالتوراة والإنجيل؛ إذ هو كتاب الله، وفصل الليث بن سعد³⁵ (وكلهم من فقهاء المالكية) بأن يستحلف اليهودي بالذي أنزل التوراة، والنصراني بالذي أنزل الإنجيل³⁶.

ويتجسد أكثر الالتزام بالنص الفقهي الديني، ومراعاة ظرف العرف والعادة والمكان والزمان، في موضوع الزواج بالكتايبات، وربما رجح فقهاء الإسلام كراهية الزواج بالكتايبات في أغلب الأزمان، استناداً إلى علاقة الحذر من النصراني واليهود. فهذا الإمام مالك كان يكره نكاح نساء أهل الكتاب من غير تحرير³⁷.

وإذا كان المسلم يُقبل على طعام أهل الكتاب من حيث المبدأ، إلا أنه يبدى حذراً شديداً من الذمّي الذي يشترك معه في آنية الشرب. وفي نوازل ابن رشد الجد فتوى عن جواز الاشتراك مع اليهودي في الاستقاء من البئر ولا يفسد من ذلك شيء، بالمقابل يؤمر

أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، قدم له وقرّضه: محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبو سنة وجمعة طاهر النجار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص515، ترجمة: 5795.

35- الليث بن سعد (175-94هـ/791-712م): بن عبد الرحمن الفهريّ التابعي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، المكنى أبو الحارث. يعتبر أول مؤلف معروف لمدرسة مصر؛ له كتاب التاريخ. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج3، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة للطباعة، ط1، 1963، ص423، ترجمة: 6998. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، تحقيق: نذير حمدان، ص136-163. ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، ج7، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1997، ص358، ترجمة: 4072؛ وقد جعله وفاته سنة 165هـ. الأصبهاني أبو نعيم (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج7، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الفكر، 1996، ص318، ترجمة: 391. ابن خلكان أبو العباس (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د ت، ص127-128، ترجمة: 549. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفى الكتب العربية، ج8، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص162.

36- ابن وهب بن مسلم القرشي. عبد الله (125-197هـ)، الموطأ كتاب القضاء في البيوع، برواية سحنون بن سعيد (160-240هـ)، تح: ميكوش موراني جامعة بون/ألمانيا، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م، ص84.

37- ابن أبي زمنين. أبي عبد الله محمد (ت399هـ)، مُنتخب الأحكام، 5-10، تح: محمد حماد، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط-المملكة المغربية، ط1، 1430هـ/2009م، ص679.

المسلم ألا يتوضأ بإناء النصراني واليهودي ولا بما أدخل فيه أيديهما ، بحجة أنه محمول على غير الطهارة³⁸.

النوازل الاقتصادية:

جاءت النوازل الاقتصادية لأهل الذمة في المدونات الفقهية المالكية حتى تستجيب لواقع الاحتكاك بين المسلم والذمي في المجال المغربي. وإذا كانت جلّ النوازل تعكس أفضلية المسلم على الذمي من منطلق حماية المسلم للذمي في بيئة ذات أغلبية مسلمة ، إلا أن بعض الفتاوى جاءت لجبر الخلل الاقتصادي الذي أحدثه التراجع السياسي والعسكري الإسلامي في بعض مدن المغرب.

ومن النوازل اللافتة في هذا السياق ، ما ذكره المازري³⁹ أنه حين دخلت الروم مدينة المهدية سنة 480هـ نهبوا الأموال ، فكثر الشكايات وزادت الخصومات بين المرتينين والصنّاع ، واتفق الفقهاء في مرحلة أولى على تصديق الفئتين شرط تقديم البيّنة على تعرض أموالهم للسطو ، ثم خالف بعض الفقهاء فتوى المازري ، ولم يعد العمل بها إلا بعد أن وافقه شيخ الجماعة أبي القاسم السيوري⁴⁰ ومن بعده الفقيه الباجي⁴¹.

وفي السياق ذاته ؛ أشار البرزلي في نوازل إلى مسألة هامة تتعلق بيهود المغرب الإسلامي ؛ دارت رحاها حول قيمة الجزية التي تؤخذ منهم ، في وقت كانوا يتمتعون بقدرات مالية جعلت من دفع الجزية أمرا هينا سهلا لديهم ، حيث إنهم كانوا أصحاب مال وتجارة ، وقد بلغت هاته الجزية ما مقداره أربعة دنانير على الموسر⁴².

38- ابن رشد الجدّ. أبو الوليد ، مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجدّ) ، تح: محمد الحبيب التجكاني ، دار

الجيل-بيروت ، دار الآفاق الجديد-المغرب ، ط 2 ، 1414هـ/1993م ، ج 01 ، ص: 530

39- المازري (453-536هـ/1061-1141م): محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، أبو عبد الله ، محدث من فقهاء المالكية. نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية ؛ وفاته بالمهدية. له: المعلم بفوائد مسلم. ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 277.

40- عبد الخالق بن عبد الوارث أبو القاسم التميمي (ت462هـ): القيرواني ، الفقيه ، البارع الحفظ ، المتفنن ، النظار ، الفاضل ، الزاهد ، الورع. المعروف بالسّيوري. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق: عادل نويهض ، بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ط 4 ، 1983. قاسم علي سعد ، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، دبي: دار البحوث للدراسات ، ط 1 ، 2002 ، ص 617 ، ترجمة: 541.

41- أبو عبد الله محمد المازري (ت536هـ)، فتاوى المازري ، تح: الطاهر المعموري ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1994م ، ص: 273

42- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841هـ) ، فتاوى البرزلي جامعة مسائل الأحكام لها نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، ج 2 ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 2002 ، ص 42.

وتؤكد بعض الدراسات ، أن هاته الجزية كانت تدرّ دخلا لا بأس به لبيت المال ، وهو ما انعكس إيجابا على الاقتصاد المحلي ، ويبيّن أهميتها كمورد هام في ذلك من جهة ، وعبر بصدق عن البجوحة المالية التي كان يتمتع بها اليهود مقارنة بما كانوا يدفعونه من الجزية⁴³.

وفي موضوع آخر ذي صلة كذلك ، طفى إلى السطح تساؤل آخر في جانب المعاملات المالية مع الذميين خاصة منهم فئة اليهود ، يروم البحث في حكم معاملة اليهود بالبيع والشراء منهم والاستدانة كذلك ، وكذا حكم المعاملات التجارية معهم في هذا الصدد ؟ فجاء ردّ الونشريسي في "المعيار" أنه جائز مادام أن المعاملة تمت على الوجه المشروع ، ولم تشبها ربّا ولا مخالفة شرعية بينة⁴⁴.

إنّ جواب الونشريسي الأخير ، ليدلّ دلالة كبيرة ، على أن الذميين من اليهود ، عاشوا وضعاً يميزه التسامح ، وهو ما انعكس إيجابا على تجارتهم ومعاملاتهم المالية⁴⁵ ، وهو ما يجعلنا نؤكد -حسب النماذج المشار إليها- أن الذميين -وخاصة اليهود منهم- سيطروا بشكل لافت على المعاملات المالية والتجارية ، وهي مسائل تعاطت معها المصادر المالكية بالجواز أحيانا ، والحرمة أحيانا أخرى.

وفي الإطار ذاته ، يجزّنا حديث شائك ومتشعب عن النوازل المتعلقة بأحباس وأوقاف أهل الذمة ، التي كان لها دور كبير في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي ، لما كانت تدرّه من مداخيل لبيت المال.

فهذا الونشريسي في "المعيار" يورد مجموعة من هاته النوازل تحت عنوان "أحباس أهل الذمة لا حرمة لها ، ويجوز تحويلها إلى بيت مال المسلمين". وقد خلص في الأخير نقلا عن جواب القاضي أبي الفضل عياض ، إلا أن "أحباس أهل الذمة لا حرمة لها"⁴⁶ ، رغم ما عُرف عن بعض اليهود من روح التسامح في تحبّيس أموالهم على المسلمين⁴⁷.

النوازل الدينية:

عاش الذميون حياة رغيدة في كنف المسلمين المغاربة ، خاصة ما تعلق بممارسة شعائهم الدينية ، وذلك لما عُرف عن أهل هاته البلاد من التسامح الكبير مع غير

43- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط ، ص109.

44- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ) ، المعيار والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، ج5 ، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف ، 1981 ، ص244.

45- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط ، ص111.

46- الونشريسي ، المعيار ، ج7 ، ص ص73-74.

47- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط ، ص111.

المسلمين. إلا أن الالفت للانتباه في هذا الصدد ، هو أن هاته الفئة استغلت ذلك التسامح الذي غمرهم بهم مسلمو بلاد المغرب ، خاصة طقوسهم التعبدية.

وتحليلنا كتب النوازل إلى البعض من هاته المسائل الهامة ، التي ظلت حديث الساعة وقتذاك ، ودارت في مجملها عن حكم ممارسة الطقوس التعبدية كبناء أماكن العبادة كالكنائس وغيرها-والتي رعتها الشريعة الإسلامية وكفلتها دون شك- ، وربما وصل بهم الأمر إلى حد المناظرات.

ومن تلك النوازل التي تداول على ذكرها أصحاب النوازل ، "نازلة يهود توات" بين اليهود والمسلمين في بلاد الصحراء ، التي تعدى صداها حدود الزمان والمكان ، وامتد تأثيرها إلى فترات متأخرة من تاريخ المغرب الإسلامي.

وقد تباينت الآراء حول هاته النازلة ؛ التي يعدّ الإمام المغيلي التلمساني⁴⁸ أحد منظرها ، حيث قام بمنائفة اليهود وهدمه كنائسهم في توات⁴⁹ ، وهو ما اعتُبر وقتها حرماناً لأهل الذمة وخاصة اليهود منهم ، من ممارسة شعائهم التي كفلها لهم الشرع الإسلامي ، وانتفاء فكرة التسامح الديني التي كان ينادي بها أبناء جلدته الإسلام⁵⁰.

ومن أبرز من تزعم هذا التيار الذي ظهر ضدّاً ونُدّاً لرأي المغيلي وفتواه في الإطار الداعية إلى هدم كنائس اليهود ؛ الإمام الفقيه أبي بكر العصنوني قاضي توات ، الذي رأى بأن ما ذهب إليه المغيلي هو محلّ خلاف لا اتفاق بين أهل العلم ، وهو الأمر الذي قسّم المجتمع التواتي وقتها في إطار تذاجات دينية كبيرة ، بين موافق لرأي العصنوني ، ومخالف لرأي المغيلي.

ومما يجدر التنبيه إليه أن المغيلي ، أن فتواه كانت محلّ تأييد من كثير من الفقهاء الوازنين في الساحة الاجتهادية النوازلية وقتذاك ، وخاصة منهم معاصره الإمام الونشريسي في "المعيار" وغيره ، حيث كان يرى بوجوب هدم كنائس اليهود⁵¹.

إن الحديث عن حرمان اليهود من ممارسة طقوسهم التعبدية ، وهدم كنائسهم بموجب فتوى الإمام المغيلي وغيره ، لم تجعل الذمي اليهودي يحجم عن الخوض في عديد المسائل الدينية ؛ من قبيل المناظرة والجدل.

48- المغيلي (909هـ/1503م): محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ؛ مفسر وفقه من أهل تلمسان ؛ توفي في توات. ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ج 6 ، ص 216.

49- المرجع نفسه.

50- بوحلوفة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط ، ص 127.

51- الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 223.

إلا أنه وللأمانة ، لم تكن تلك المناظرات ، بذلك الحجم والزخم الذي يصل إلى حدّ الجراءة في خوضها ، وذلك لانتفاء أسبابها الأساسية ، ومنها البون الشاسع بين علماء المسلمين ومن تصدّر للمناظرة والجدل منهم وقتذاك .

ومن كتب النوازل التي حفظت لنا بعضا من هاته الصفحات الهامة لتاريخ الذمي في هذا الصدد ؛ كتاب "المعيار" للونشريسي ، الذي يعدّ وثيقة تاريخية هامة في هذا الإطار ، حفظت لنا الكثير من تلك المناظرات ، ومنها سؤال يهودي عن ثلاث مسائل⁵² ، ومناظرة بين ابن رشيق وأحد القساوسة⁵³.

الخاتمة: نخلص في نهاية هاته الورقة العلمية إلى ما يلي :

إن الوجود النصراني في بلاد المغرب عامة ، قديم قدم الدول التي عرفتها المنطقة . وتبقى ظاهرة الوجود النصراني في بلاد المغرب وتأثيرها قبل الفتح تحمل إشكاليات وتجادبات بين رؤية غربية استشراقية تسعى للتأكيد على عمق الحضور النصراني ، وبين رؤية عربية وردّ فعل يرى في الطرح الغربي مبالغة .

كما أن فئة النصارى خلال الفترة الوسيطة ببلاد المغرب الإسلامي ، لا تذكر إلا عرضا وكأفراد وليس كقوة ، وهي لا تلبث بعد ذلك أن تنصهر في المجتمع .

وفي الجهة الثانية ، نجد أن الدين اليهودي الذي يعدّ من أقدم الديانات السماوية دخولا إلى بلاد المغرب ، ربما يعود إلى الفترة القرطاجية . وقد وفدت عنهم جماعات إلى المغرب لأهداف تجارية ، واستوطنت برقة ، وجربة ، وتلمسان ، وطنجة ، والواحات الصحراوية ، وأصبحوا جزءا من النسيج القبلي البربري ، وربما وصل الأمر إلى تهويد القبائل البربرية أو بعضها بفعل تأثير هذه الجماعات اليهودية .

ولما كان الحال كذلك ؛ فقد تنوعت النوازل الفقهية في شأن أهل الذمة على مواضيع اجتماعية سياسية فكرية واقتصادية ، حكمتها قواعد دينية بحثة .

ولما كانت وضعية الذمي ككائن غير مسلم يعيش مع المجتمع المسلم ، فقد أولى الفقهاء لموضوع العلاقة معه أهمية بالغة ، إما على سبيل أحداث واقعية أو على سبيل الاحتمال ، فتشعب الحديث عنهم في النوازل باختلاف أنواعها ؛ اجتماعية ، اقتصادية ودينية .

52- الونشريسي ، المعيار ، ج 11 ، ص 154-155.

53- المصدر نفسه ، ص 155.

المصادر والمراجع:

1. الألباني محمد ناصر الدين ، صحيح الترغيب والترهيب ، مج1، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000.
2. الأصبهاني أبو نعيم (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج7، القاهرة: مكتبة الخانجي ، بيروت: دار الفكر ، 1996.
3. الأموي. الإمام محمد بن عبد السلام ، تنبيه الطالب لفهم لغات ابن الحاجب ، تح: علي بن عبد الرحمان بسام ، مج01 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، 2015.
4. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841هـ)، فتاوى البرزلي جامعة مسائل الأحكام لها نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، ج2 ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 2002.
5. البكجري الحنفي علاء الدين مُغلطاي بن قليج بن عبد الله (689-762هـ)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم ، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط1 ، 2001.
6. بوحلوقة محمد أمين ، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914/1508م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2015م
7. بونابي الطاهر ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين 12-13 الميلاديين ، أطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف: فيلاي عبد العزيز ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، السنة الجامعية 1419-1420هـ/1999-2000م.
8. التيجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ، (ت.717هـ/1317م) ، رحلة التيجاني ، تق: حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، 1981م.
9. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، قدم له وقّعه: محمد عبد المنعم البري وعبد الفتاح أبو سنة وجمعة طاهر النجار ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1995.
10. الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، بيروت: دار صادر ، 1977.
11. ابن حنبل ، المسند ، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1995.
12. الشيخ سليمان ، حاشية الجمل على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، مج5، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، 2006.
13. ابن خلكان أبو العباس (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، بيروت: دار صادر ، د ت.
14. الذهبي شمس الدين ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، بيروت: دار المعرفة للطباعة ، ط1 ، 1963.
15. ابن رشد الجدّ. أبو الوليد ، مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجدّ) ، تح: محمد الحبيب التجكاني ، دار الجيل-بيروت ، دار الآفاق الجديد-المغرب ، ط2 ، 1414هـ/1993م ، ج01.
16. رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر: دويان المطبوعات الجامعية ، 1977.

17. الزركلي خير الدين ، الأعلام ، بيروت: دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002.
18. ابن أبي زمنين. أبي عبد الله محمد (ت: 399هـ) ، مُنتخب الأحكام ، 5-10 ، تح: محمد حماد ، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ، الرباط-المملكة المغربية ، ط 1 ، 1430هـ/2009م.
19. ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، الطبقات الكبرى ، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1997.
20. ابن الصغير (ت: 295هـ/907م) ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح وت: ناصر محمد وبجاز إبراهيم ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 1986م.
21. الصدي الكندي المصري أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (تبعده 353هـ) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 2003.
22. علاوة عمارة ، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب (ق 2-6هـ/8-12م) ، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط ، مؤسسة حسين رأس الجبل ، قسنطينة-الجزائر ، (ص 9-37).
23. الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه: عادل نويهض ، بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ط 2 ، 1979.
24. فيلال عبد العزيز ، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي ، دار الهدى ، عين مليلة-الجزائر ، 2012م.
25. ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق: عادل نويهض ، بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ط 4 ، 1983.
- قاسم علي سعد ، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، دبي: دار البحوث للدراسات ، ط 1 ، 2002.
26. كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
27. كفايتي سعيد ، دور يهود الجزائر عموما ويهود تاهرت وقلعة بني حماد على وجه الخصوص في إغناء الثقافة العربية القديمة ، أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد "ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م ، جامعة المسيلة ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، أيام: 9-10-11 أبريل 2007م.
28. المازري. أبو عبد الله محمد (ت: 536هـ) ، فتاوى المازري ، تح: الطاهر المعموري ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1994م.
29. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مصر: مكتبة الشروق الدولية ، ط 4 ، 2004.
30. مجهول مراكشي من كتاب ق 6هـ/12م ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء-المملكة المغربية ، 1985م.
31. المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، دار بهاء الدين ، الجزائر ، 2012م.
32. المسكيني محمد ، نوازل غير المسلمين في الغرب الإسلامي ، دار أجيال الرقمي ، الجزائر ، 2023م.

33. هوبكنز (ج.ف.ب)، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تر: أمين توفيق الطيبي ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء-المملكة المغربية ، ط 02 ، 1420هـ/1999م
34. ابن وهب بن مسلم القرشي. عبد الله (125-197هـ)، الموطأ كتاب القضاء في البيوع ، برواية سحنون بن سعيد (160-240هـ)، تح: ميكولوش موراني جامعة بون/ألمانيا ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ/2004م.
35. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ)، المعيار والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف ، 1981.
36. Allaoua Amara, La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (11e-15e siècle), Annales islamologiques, N°42, 2008
37. CAMPS Gabriel, COMMENT LA BERBERIE EST DEVENUE LE MAGHREB ARABE, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, Aix-en-Provence, 1983, pp. 7-24
38. CAMBUZAT, Paul Louis, «L'évolution des cités du Tell en Ifrikyia du 7^e au 11^e siècle», Tome2, office des publications universitaires, Alger, 1986,
39. DOUTTE EDMOND, LES MARABOUTS NOTES SUR L'ISLAM MAGHRIBIN, DAR EL AMAN, Rabat, Maroc, 2014,
40. FERAUD (Laurent-Charles), «Histoire de Bougie», Editions TALANTIKIT-Bejaia-2014.